بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٠ / ٦ / ٢٠١٤م

قيمة الوقت

أولاً – العناصر:

١- قيمة الوقت في الإسلام.

٢- أهمية الوقت في حياة المسلم.

٣- الحث على اغتنام الوقت واستثماره.

٤- أثر تنظيم الوقت في حياة الفرد والمجتمع.

ثانيًا– الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- يقول تعالى: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: ١ – ٣].

٢- ويقول تعالى: {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ} [الفجر: ١ – ٥]، ويقول : {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [الليل: ١ – ٤]، ويقول: {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}.[الضحى: ١ – ٣].

٣- ويقول الله تعالى : {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا}[الإسراء: ١٢].

٤- ويقول تعالى: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [القصص: ٧٣].

٥- ويقول تعالى: {وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: ٣٧ – ٤٠].

٦- ويقول تعالى: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: ٧٨، ٧٩].

٧- و يقول تعالى : {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى}[القيامة : ٣٦].

الأدلة من السنة والآثار:

١- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» [صحيح البخاري].

٢- و عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): «لَا تَزُولُ قَدِمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟»[المعجم الكبير للطبراني].

٣- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ : «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[المستدرك للحاكم].

٤- و عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ ». قَالَ فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ»[سنن الترمذي].

٥- وعَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»[سنن أبي داود].

٦- وعن الْحَسَن الْبَصْرِيّ (رحمه الله): طَلَبْتُ خُطَبَ النَّبِيِّ فِي الْجُمُعَةِ فَأَعْيَتْنِي فَلَزِمْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي كَيْفَ صَنَعَ اللهُ فِيهِ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي كَيْفَ اللهُ بِصَانِعٍ فِيهِ، فَلْيَتَزَوَّدِ الْمَرْءُ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَمِنَ الشَّبَابِ قَبْلَ الْهَرَمِ، وَمِنَ الصِّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ،

فَإِنَّكُمْ خُلِقْتُمْ لِلْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ إِلَّا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ) [شعب الإيمان].

٧- ومن كلمات الحسن البصرى: (ما من يوم ينشق فجره إلا نادى مناد من قبل الحق: يا ابن آدم ، أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود منى بعمل صالح فإني لا أعود إلى يوم القيامة)[ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض].

ثالثًا – الموضوع:

إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق بقدرته ، ورباهم بحكمته، وأنعم عليهم بنعم كثيرة وعظيمة لا تعد ولا تحصى، فقال تعالى:{ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[النحل:١٨] ، ومن تلك النعم التي يتقلب فيها الإنسان صباح مساء: نعمة الوقت ، التي غفل عنها الكثيرون، يقول سبحانه وتعالى – مذكرًا بهذه النعمة– : {وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ }[إبراهيم: ٣٣-٣٤] ، ويقول تعالى في سورة أخرى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا}[الإسراء: ١٢].

فالوقت الذي يعيشه الإنسان مِنْ جُملةِ النِّعَمِ، بَلْ هُوَ مِنْ أَجَلِّهَا وأَشْرَفِهَا، لأنه أغلى ما يملكه الإنسان في هذه الحياة ، فعلى العاقل أن يستقبل أيامه استقبال الضنين للثروة الرائعة؟ لا يفرط فى قليلها ولا كثيرها، يقول الشاعر :

فَالوَقْتُ أَعْظَمُ مَا عُنِيتَ بِحِفْظِهِ   وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ

ويقول الإمام الحسن البصري رحمه الله : "يا ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما ذهب يومٌ ذهب بعضك".

ولقد عني الإسلام بالوقت عناية بالغة، وحرص على بيان عظمته وأهميته ، وحث على شغله بالطاعات والقربات، وحذر أشد التحذير من التفريط فيه، وأنذر المفرطين في أوقاتهم من الحسرة والندامة على ذلك التفريط يوم القيامة، حيث يقول قائلهم حينئذٍ:{يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر: ٢٤] ، وحيث يقولون في حسرة وندامة أيضًا: { رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ}[إبراهيم: ٤٤].

ولعظيمِ شرَفِ الوقتِ وأهميتِه أقسَمَ اللهُ تعالَى بهِ ، فِي أكثرَ مِنْ موضعٍ فِي كتابِهِ الكريمِ، فيقسم بالفجر في قوله تعالَى:{وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ }[الفجر:١-٢]، ويقسِم بالليل

والنهار في قوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} [الليل: ١، ٢] ، ويقسم بالضحى في قوله تعالى: {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}[الضحى: ١، ٢] ، ويقسم بالعصر في قوله تعالى: { وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ }[العصر:١، ٢]... إلى غير ذلك من الآيات.

وإذا أقسم الله تعالى بشيء من خلقه فإنه بذلك يلفت أنظارنا إليه ، وينبهنا على جليل منفعته وعظيم آثاره ، و الحضِّ على الاستفادة منه، فالعظيم لا يقسم إلا بشيء عظيم ، وقَسَمُهُ سبحانه بأوقاتٍ كثيرةٍ، وأجزاء من الزمن كالفجرِ ، والصبحِ ، والضحَى ، والعصر ، والليلِ وغير ذلك، إنما كان لفتًا للأنظار نحوَها لعظيم دلالتها عليه، ولجليل ما اشتملت عليه من منافع وآثار.

فعلى المسلم أن يعي هذه الحقيقة ويسير على هداها، يقول تعالى: {إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ}[يونس:٦].

كذلك حظي الوقت بنصيبٍ وافرٍ من العناية في السنة النبوية المطهرة ، حيث بين النبي (صلى الله عليه وسلم) قيمة الوقت وأهميته، فيما ورد في كثير من الأحاديث، مشيرًا إلى أن المؤمن بين مخافتين ، بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فعن الْحَسَن الْبَصْرِيّ ، قال: طَلَبْتُ خُطَبَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فِي الْجُمُعَةِ فَأَعْيَتْنِي فَلَزِمْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي كَيْفَ صَنَعَ اللهُ فِيهِ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي كَيْفَ اللهُ بِصَانِعٍ فِيهِ، فَلْيَتَزَوَّدِ الْمَرْءُ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَمِنَ الشَّبَابِ قَبْلَ الْهَرَمِ، وَمِنَ الصِّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ، فَإِنَّكُمْ خُلِقْتُمْ لِلْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ إِلَّا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ).

كما أن النبي (صلى الله عليه وسلم) جعل الوقت من النعم العظيمة التي أنعم الله بها على الإنسان، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أهميته، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ).

ثم يؤكّد النّبيّ (صلى الله عليه وسلم) على أهمية الزمن و قيمته ، فيقرّر مسؤولية الإنسان عنه أمام الله تعالى يوم القيامة ، فعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (لَا تَزُولُ قَدمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟) (المعجم الكبير للطبراني).

وهكذا : يسأل الإنسان عن عمره عامّة، وعن شبابه خاصّة ، فالشباب جزء من العمر، لكن له قيمة متميّزة باعتباره سنّ الحيوية الدافقة، ومرحلة القوة بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة ، قال تعالى:{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً }[الروم:٥٤].

كل ذلك يذكّر الإنسان بقيمة الوقت ، ويوقظ فيه الإحساس بأهمية الزمن ، فإن هذا الزمن إذا مضى لا يعود، وسرعان ما يمضي وينقضي ، وهذا ما عبر عنه الحسن البصري – رحمه الله – بقوله البليغ: "ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزوّد مني بعمل صالح فإني لا أعود إلى يوم القيامة"، فإذا كان مرور يوم له هذه الأهمية فكيف بمرور عام؟!

ولو تدبر الإنسان لوجد أن عمره محدود جدًا ، كما بين النبي (صلى الله عليه وسلم) {أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ }(سنن ابن ماجه) ، وستون سنة – في الحقيقة– لا تكاد تعد شيئًا مذكورًا لو تأمل العبد وتفطن، وكثير من الناس لا يشعر بقيمة هذا الزمن ولا بأهميته وكأن أمرًا ما كان! ولو دقق وحسب لوجد أن العمر ضيق وقصير.

إن للوقت أهميةً عظيمة في حياة المسلم ، بل هو الحياةُ كلها ، هذا الوقت إما أن يكون الإنسان فيه خاسرًا ، وإمّا أن يكون فائزًا، وذلك بحسب استغلاله لعمره ، لأن العمر الذي يعيشه الإنسان هو المزرعة التي يجني ثمارها في الدار الآخرة ، فإن زرعه بخير وعملٍ صالح كان من الذين يُنادى عليهم في الدار الآخرة :{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ } [الحاقة: ٢٤].

أما من زرعه بالمعاصي والمخالفات، وجهل قيمة الوقت وضيعّه في حياته، فسيأتي عليه يومٌ يعرف فيه قدره وقيمة العمل فيه، وساعتها يندم يوم لا ينفعه الندم.

وقد جعل الحق سبحانه التعمير وطول العمر موجبًا للتذكر والاستبصار، وجعل العمر الذي يحياه الإنسان حجة عليه. قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي أوَ ما عشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم؟!

لذلك فإن من التوفيق والسعادةِ أن يدرك الإنسان قيمة وقته وعمره ، وأن يصرفَ هذا الوقت في العمل الصالح والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعلّم العلم النافع والذكر وقراءة القرآن ، وفي كل أمرٍ يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع، فمن فَعَلَ ذلك أدرك قيمةَ وجودهِ في الحياة.

قال ابن القيم - رحمه الله -: (وقتُ الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو يمرُّ مَرَّ السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياتُهُ وعُمُرُه، وغيُر ذلك ليس محسوبًا من حياته وإن عاش فيه عَيشَ البهائم).

فالزمن نعمة عظمى ومنحة كبرى، يجِبُ اغتنامُها فِي كُلِّ مراحلِ العُمرِ ، حتى لا يكونَ حُجةً على الإنسانِ إذَا ضَيَّعَهُ وتفلَّتَ مِنْ بيْنِ يديْهِ دونَ أَنْ يرتَقِيَ فيهِ إِلَى أحسَنِ حالٍ، لهذا كان واجبًا على كل مسلم تجاهَ وقتِهِ أنْ يحافظَ عليهِ محافظة شديدة ، وأنْ يحرصَ علَى اغتنامه والاستفادةِ منْهُ فيمَا ينفعُهُ فِي دنياه وأخراه ، كما حثنا على ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ (رضي الله عنه) أَنّ النَّبِيّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ : (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ).

ومن محافظة الإسلام على الوقت حثه على التبكير ، ورغبته في أن يبدأ المسلم أعمال يومه نشيطًا طيب النفس، مكتمل العزم ، فإن الحرص على الانتفاع من أول اليوم يستتبع الرغبة القوية في ألا يضيع سائر اليوم سدى، ففي الحديث يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا)، ولو بدأت أمتنا يومها كما حث النبي (صلى الله عليه وسلم) لوجدت في ذلك البركة والخير الكثير وتوفير النفقات الباهظة في استهلاك الطاقة والكهرباء.

وَلقد ترَبَّى أصحابُ النبي (صلى الله عليه وسلم) علَى ذلكَ ، فاغتنَموا الوقتَ وأحسنُوا استثمارَهُ ، فكانُوا هداةً للبشريةِ ، أضاءُوا مشاعلَ النورِ فِي بِقاعِ الأرضِ بِمَا قدَّمُوهُ مِنْ عملٍ صالحٍ ، وعلمٍ نافعٍ ، ولَمْ يُضيِّعُوا وقتًا فِيمَا لاَ ينفعُ ، لأنَّهُ مِنَ الغبْنِ الذِي حذَّرَهُمْ منْهُ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) بقولِهِ: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ). أَيْ أَنَّ الصِّحَّةَ وَالْفَرَاغَ نِعْمَتَانِ يغفل عنهما كثير من الناس ويجهلون قدرهما، ولا يقومون بحق شكرهما ، فإِذَا لَمْ يستعْمِلْهُمَا الإنسانُ فِيمَا يُفيدُ فهَوُ خَاسِرٌ.

كانوا أحرص الناس على أوقاتهم لمعرفتهم بأهميتها، ولعلمهم بأنهم مسئولون عنها أمام الله عز وجل ، قالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: (مَا ندِمْتُ علَى شيْءٍ ندَمِي علَى يومٍ غربَتْ شَمْسُهُ؛ نقصَ فيهِ أجلِي، ولَمْ يَزِدْ فيهِ عملِي).

لقد بلغت عناية أسلافنا بالوقت أن ألفوا كتبًا فى عمل اليوم والليلة ليعرف المسلم كيف يقضي وقته وساعات حياته فيما ينفعه ويرضي ربه عز وجل، ومن نماذج سير سلفنا الصالح فى استثمار الوقت والحرص عليه الإمام القاضي أبو يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفة،

أخذ يبحث في مسألة فقهية، وهو في اللحظات الأخيرة من حياته، فيقول تلميذه القاضي إبراهيم بن الجراح: مرض أبو يوسف فأتيته أعوده فوجدته مغشيًا عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم ما تقول في مسألة كذا؟ قلت في مثل هذه الحال؟! قال : لا بأس بذلك، ندرس لعله ينجو بها ناجٍ. و نجد أيضًا الإمام المحدث محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة أنه كان لا ينام الليل إلا قليلاً، و كان يزيل نومه بالماء من أجل القراءة والدراسة.

هكذا كان حرصهم الشديد على أوقاتهم، كانوا يعلمون أن هذا الوقت غنيمة وأنه فرصة يجب أن تستغل وأن تغتنم لعبادة الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– ولهذا ما كان يفوت أحدهم شيئًا من وقته، وليس كما يفعل الكثيرون الآن من إضاعة للوقت والعمر في غير طاعة الله ، بل في أعمالٍ تُسخط الله ورسوله، وتُلحق الضرر بالمؤمنين، لا يبالون بإضاعة أوقاتهم سُدى، ولو سألتهم عن حالهم قالوا: نريد أن نقتل الوقت بشيء من التسلية، وما درى هؤلاء أن من قتل وقته فقد قتل في الحقيقة نفسه، ولكن الكثير في غفلة ، يؤكد ذلك الحكمة الغالية: "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك "، فهل يدرك هذا كثير من الشباب الذين يقتلون أوقاتهم ويضيعونها أمام الشاشات مع مواقع التواصل على الشبكة الدولية؟! لقد أصبحت هذه المواقع في كثير من الأحيان مواقع تقاطع لا تواصل، فالمستخدمون لها قد يتواصلون مع الغرباء، وينقطعون عن التواصل مع الأقارب، والتواصل مع الأهل والأولاد، إذ إنهم يقضون معظم الوقت أمام الأجهزة الإلكترونية، فهو موجود بجسده مع أهله، ولكن عقله وتفكيره مع غيرهم، أيظن من يفعلون ذلك أن محياهم فى هذا الوجود سدى؟! قال تعالى : {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى}[القيامة : ٣٦]، هل غاب عن هؤلاء أنهم مسئولون عن كل ساعة بل كل دقيقة تضيع من أعمارهم؟! إن قتل الوقت على هذا النحو إهلاك للفرد، وإضاعة للجماعة، فالعاقل هو الذي يدرك أن الزمن أنفاس تتردد ، وأن الدقائق التي تمرُّ عليه تنقص من حياته ، ورَحِمَ اللهُ شوقي إذ يقول:

دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قائلةٌ لهُ   إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثوانِي

وقال آخر : وَمَا الْمَرْءُ إلاَّ رَاكِبٌ ظَهْرَ عُمْرِه ... عَلَى سَفَرٍ يُفْنِيه بِاليَوْمِ وَالشَّهْرِ

يَبِيْتُ وَيُضْحِي كَل يَومٍ وَلَيْلَةٍ ... بَعِيْدًا عَنْ الدُّنْيَا قَرَيْبًا إِلَى القَبْرِ

ومن ثمَّ فإنه ينبغي على العاقل أن يغتنم وقته، وأن يحرص على الاستفادة الكاملة منه فيما ينفعه في دينه وفي دنياه ، وفيما يعود على الأمة بالخير والسعادة والنماء ، حتَّى تتحقَّقَ

لهُ السعادةُ فِي الدُّنيا والفوزُ فِي الآخرةِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ (رضيَ اللهُ عنهُ) أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قال (صلى الله عليه وسلم):(مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ).

ويعمل جاهدًا على الانتفاع بوقته واستثماره الاستثمار الأمثل؛ فإن الوقت سريع الانقضاء، وما مضى منه فإنه لا يعود أبدًا. وما أحسن ما قاله الحسن البصري: " أدركت أقواما كانوا على أوقاتهم أشدّ منكم حرصا على دراهمكم ودنانيركم".

ولما كان الوقت هو الحياة فتنظيم الوقت يعني تنظيم الحياة، ولهذا الأمر أهميته البالغة، لأن تنظيم الوقت من أهم الوسائل التي تمكن الإنسان من تحقيق أهدافه التي رسمها لنفسه، فيتقن عمله، ويسعى جاهدًا إلى إنجاز ه بأحسن صورة، فيندفع نحو التطوير والرقي بنفسه وبمجتمعه ، فما فاز فرد على غيره إلاّ بإدراكه لقيمة الوقت ومبادرته للاستفادة منه بكل ما يستطيع.

و من ثمَّ فإن عدم تنظيم الوقت أو إساءة استغلاله يخلق الكثير من المشكلات، مما يتسبب في تأخر المجتمعات، فإن تقدم الأمم وازدهار حضارتها ونهضتها لا يكون إلا بحسن استثمارها للوقت و إدارتها له.

وانطلاقًا من قول الله تعالى: {...وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}[إبراهيم: ٥] فإن المناسبات السنوية – كهذا الشهر الكريم شهر شعبان – تأتي لتذكرنا بمرور الزمن، فيتذكر الإنسان أن عامًا قد مرّ من حياته ليقف مع نفسه وقفة حساب، ليُقَوِّمَ ما اعوجّ ويُصلح ما فسد ويستقيم على طريق الله عز وجل قبل فوات الأوان، فمنذ هذا الوقت من العام الماضي مر بك عام كامل من عمرك فلتحاسب نفسك هل كان هذا العام في كفة حسناتك أم كان شيئًا آخر؟! وهل تضمن بقاءك لتدرك عامًا آخر لتستدرك ما فاتك؟! عليك أن تبصر الطريق وتتخذ من هذه الأيام الطيبة المباركة فرصة لتُقَوِّمَ مسارك نحو آخرتك، وتعتبر بمرور الأيام وتَقَلُّبِ الليل والنهار، يقول الله تعالى: {يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ} [النور: ٤٤]

نسأل الله العلي العظيم أن يبارك لنا في أعمارنا وأوقاتنا، وأن يمن علينا باغتنام أوقاتنا في طاعته، واستغلال أعمارنا فيما ينفعنا عنده يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والحمد لله ربّ العالمين .